



قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

04 برنامج أمل وانتصار

محاضرة في الأردن

2020-02-03

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته وارضّ عنا وعنهم يا رب العالمين.

قصة حاطب بن أبي بلتعة

عن علي رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُبَيْرُ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، رَوْضَةٌ خَاخٌ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَرِيبًا مِنْ حِمْرَاءِ الْأَسَدِ، رَوْضَةٌ خَاخٌ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا طَبِيعَةً، وَالطَّبِيعَةُ هِيَ الْمَرَاةُ فِي الْهُدُجِ، الْمَرَاةُ الَّتِي تُحْمَلُ فِي الْهُدُجِ عَلَى الْبَعِيرِ، فَإِنَّ بِهَا طَبِيعَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَأَتُونِي بِهِ، بِالْكِتَابِ، فَأَتُونِي بِهِ، يَقُولُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَتَلَقْنَا تَعَادَى بَنَاتٍ حَلَّتْنَا، عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ، مَهْمَةٌ سَرِيعَةٌ، حَتَّى أَتَيْنَا الرُّوضَةَ، فَإِذَا بِهَا الطَّبِيعَةَ، فَقُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا لَهَا: لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ النَّبَاتَ، يَعْنِي سَجْدَكَ مِنْ ثِيَابِكِي حَتَّى نَأْخُذَ الْكِتَابَ، الْكِتَابُ مَوْجُودٌ، وَفِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: صَاحِبِي مَا أَرَى مَعَهَا مِنْ كِتَابٍ، يَعْنِي الْوَضْعَ وَاضِحٌ لَا يَوْجُدُ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَجْرِدَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الْأَمْرَ جَدِي، أَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، وَالْعَقِصَةُ هِيَ صَفِيرَةُ الشَّعْرِ، الْكِتَابُ بِقَلْبِ الصَّغِيرَةِ، فَجَنَّا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بِهِ، فِي الْكِتَابِ، مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَهُوَ صَاحِبِي مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَنَاسِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي قَرِيشٍ يُخَيِّرُهُمْ بَعْضُ أَهْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي بِالْعَرَفِ الْحَدِيثَ خِيَانَةَ عَطْمِي، رَسُولُ اللَّهِ سَيِّغُزُوكُمْ، مُحَمَّدٌ سَيِّفَعِلُ كَذَا، خِيَانَةً، يَنْقُلُ أَخْبَارَ صَفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَشْرِكِينَ فِي قَرِيشٍ، الْإِنِّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَى حَاطِبٍ، قَالَ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: تَمَهَّلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُهُ لَا كُفْرًا وَلَا إِزْدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَهْرَأُ مُلْصَقًا فِي قَرِيشٍ، أَنَا لَسْتُ مِنْ قَرِيشٍ أَنَا مِنْ قِبَائِلٍ أُخْرَى وَجِئْتُ وَسَكَنْتُ فِي قَرِيشٍ، أَنَا لَسْتُ مِنْهَا، وَلَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَن مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ لَهْمٍ قَرَاتَانِ فِي قَرِيشٍ يَخْمُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، يَعْنِي قَرِيشٌ فِيهَا بَعْضُ نَخْوَةٍ، فَإِذَا كَانَ شَخْصٌ مِنْ قَرِيشٍ مِنْ نَفْسِ قَرِيشٍ وَلَهُ قَرَابَاتٌ وَهَاجِرٌ، قَرَابَاتُهُ يَحْمُونَ أَهْلَهُ وَيَحْمُونَ مَالَهُ، لَأَنْ فُلَانٌ مِنْهُمْ، فَارْدَتْ إِذْ قَاتَيْنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، لَيْسَ لِي نَسَبٌ، أَنْ أَجِدَ عِنْدَهُمْ بَدَأَ أَحْمِي بِهَا قَرَاتِي، يَعْنِي أَرِيدُ بِهَذَا الْإِخْبَارِ لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَ لِي فَضْلًا عِنْدَهُمْ فَيَحْمُونَ قَرَابَتِي مِنْ شَرِّهِمْ وَمِنْ تَعَذُّبِهِمْ وَمَنْ تَكَلَّمُوا، هَذَا سَبَبُ الْفَعْلِ، طَبِيعًا السَّبَبُ غَيْرُ مَبْرَرٍ لَكِنْ هُوَ هَكَذَا قَالَ وَهُوَ صَادِقٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَصَحَابَتِهِ، قَدْ صَدَقَكُمْ، الْكَلَامُ صَحِيحٌ، قَالَ عُمَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَصْرَبُ عُثْقَ هَذَا الْمُتَافِقِ، فَهَذِهِ خِيَانَةٌ، فَقَالَ: لَا يَأْمُرُ إِلَهُهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، حَاطِبُ كَانَ فِي بَدْرٍ، مِفَاتِلُ فِي بَدْرٍ، إِلَهُهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، وَمَا يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اغْمُطُوا مَا يَشْتُمُّ فَقَدْ عَقَرْتُ لَكُمْ.

{ عن علي رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُبَيْرُ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا طَبِيعَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَأَتَلَقْنَا تَعَادَى بَنَاتٍ حَلَّتْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهَا إِلَى الرُّوضَةِ، فَإِذَا تَحَنُّ بِالطَّبِيعَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ النَّبَاتَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبٍ }

بن أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَتَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَخْبِرُهُمْ بَعْضُ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمَرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ التَّسَبُّ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عَنْدَهُمْ بَدَا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا إِزْدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَّقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقُكَ هَذَا الْمُتَافِي، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَقَرْتُ لَكُمْ { (صحيح البخاري)

العبرة الأولى : اليقين بكلام الله تعالى وبكلام رسوله

هذا هو النص، الآن نريد أن نستنبط العبر والدروس والمعاني من هذا النص، الأمر الأول، العبرة الأولى، الدرس الأول المهم؛ عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: انطلقوا حتّى تأثروا رَوْضَةَ خَاجٍ، انطلقوا وكلهم يقينٌ بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يذكروا أنهم سألوه يا ترى معها كتاب أو ليس معها؟ قال: ما كذب رسول الله، الكتاب معك سوف تخرجه، فانطلقوا بيقين من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر الحق وبأنه صلى الله عليه وسلم كلامه وَحْيٌ يُوحَى.

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
وَحْيٌ يُوحَى

(سورة النجم: الآية 4)

يقول سعد رضي الله عنه وأرضاه: ثلاثة أنا فيهن رجل، ورجل هنا بمعنى بطل، الرجل في القرآن ليس الذكر

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ

(سورة النور: الآية 37)



الوحي نوعان

قد يكونون إناءً وقد يكونون ذكوراً، فالرجال هنا بمعنى الأبطال، فقال: ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ليس لي أي ميزة، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى، لأن الوحي نوعان: وحي متلو، وهو كتاب الله، ووحى غير متلو، وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه وحي من الله تعالى، وما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها أو أفرغ منها، في الصلاة لله لا ينشغل لا بالحسابات ولا بالزيارات ولا فيما حدث معه أثناء النهار، الثالثة قال: وما سرت خلف جنانة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أفرغ من دفنها، في الجنابة دروس وعبر من الدفن، هذا قول سعد: ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس.



المستوى الأول مستوى نظر

أخواننا الكرام: حتى أعقب على قضية كيف تيقنوا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستويات المعرفة، ولعلي ذكرت ذلك على عجلة سابقاً لكن التفصيل فيه الآن مهم، مستويات المعرفة، حتى نتعرف على العالم عندنا مستويات للمعرفة، المعرفة الأولى وأنا أسميها المعرفة السطحية البسيطة المبدئية هي ما يتعرف إليه الإنسان من خلال حواسه الخمس التي أودعها الله فيه، فيشم رائحة فيقول: هذه رائحة ياسمين، وينظر فيقول: هذه طاولة، ويسمع فيقول: هذا صوت أبي فلان، ولمس فيقول: هذا ملمس جلد الأرنب، يتعرف من خلال حواسه، ويتذوق فيقول: هذا طعم اليانسون، هذا مستوى المعرفة الأول، مستوى الحواس الخمس وهذا يشترك به الإنسان مع كثير من المخلوقات الأخرى، فهو ليس مقياساً ليقول: والله أنا أعرف بحواسي، أو يقول: أنا لا أصدق حتى أرى بعيني، هذا كلام لا معنى له، لا تسو نفسك بالمخلوقات الأخرى هذا شيء منطقي أن ترى شيئاً فتعرفه، فهذا المستوى الأول نسميه حتى نختصره نظر، لأن أهم طريقة يتعرف بها الإنسان على العالم الخارجي هو النظر، العين، فنقول المستوى الأول مستوى نظر، هذا مستوى بسيط، المستوى الأعلى منه الذي لا يدرك من خلاله ولا يتعرف من خلاله إلا العقلاء هو الأثر، فالأثر يدل على المؤثر، فالعاقل يقول: هناك كهرباء في الغرفة، لكن هل تراها؟ لا، ولكني أرى آثارها، هذا المصباح المتألق وهذا الصوت المَكْبَر يدل على وجود الكهرباء فيستدل من خلال شيء يراه بعينه إلى شيء لا يراه بعينه، هذا الأثر، وهذا طريق الإيمان بالله الفطري البسيط جداً الذي تَعَيَّنَا الله عز وجل به، الله عز وجل يقول لنا:

يُسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(سورة يونس: الآية 101)

يُسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

(سورة عبس: الآية 24)

لماذا أنظر إلى طعامي؟ لأن الطعام يدل على أن هناك إلهاً جلّ جلاله، الأعرابي كان يقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفسماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدلان على الحكيم الخبير، فهذا مستوى الأثر هو مستوى العقلاء، وهذا نحتاجه في الإيمان بالله نحتاجه كثيراً أن نستدل على الأشياء التي لا نراها أو لا ندركها بحواسنا من خلال أشياء نراها وندركها بحواسنا.



المستوى الثالث هو الخبر

إذا نظر، أثر، المستوى الثالث هو الخبر: الخبر هو شيء لم تستطع أن تدركه بحواسك ولم يستطع عقلك أن يدركه من آثاره فحجبت عنك ذاته وحجبت عنك آثاره، يعني ليس عندك وسيلة لا عقلية ولا وسيلة نظرية، هذا الخبر إما أن يكون صادقاً أو أن يكون كاذباً تستدل على ذلك من مجموعة معطيات، يعني عندما يأتي أخ كريم منكم وأنا أعرفكم جيداً وتقول: الآن حدث شيء في الساحة الفلانية، ويخبرني بهذا الخبر، فأنا أعلم بأن فلان صادق لا يكذب فأصدق خبره، يأتي آخر أعلمه بأنه فاسق يأتي نبأ ودائماً يهول فيه فأقول: تمهل حتى أستطلع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ جَاءَكُمْ قَاسِقٌ يَنْتَبِهُوا

(سورة الحجرات: الآية 6)

أتبين لأنني أعلم أن هذا الإنسان قد يكذب في أخباره، لكن عندما يأتيني خبر من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وحى غير متلو كما قلنا فالمؤمن يصدق هذا الخبر أعظم من تصديقه لشيء يراه بعينه، فيرتفع عنده الخبر ليس إلى الأثر ولكن إلى النظر، لذلك يقول تعالى في كتابه الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ

(سورة الفجر: الآية 6)

الخبر هو أعلى مستويات المعرفة

النبى صلى الله عليه وسلم لم ير كيف فعل ربه بعدا، لكن الله أخبره أنه فعل بعدا ما فعل فاستقبل الخبر وكأنه يراه، وهذا معنى قوله تعالى (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) هذا فعل ماض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

(سورة النحل: الآية 1)



الغيب هو الشيء الذي غاب عنك

قال: (قَلَّا تَسْتَعْجِلُوهُ) معناها لم يأت فلماذا يقول سبحانه: أتى؟ لأن أمر الله آتٍ لا محالة فيعبر الله بالفعل الماضي عن الشيء المستقبلي لأنَّ الإتيان متحقق مئة بالمئة، فنحن أمام نظر وأثر وخبر، والخبر هو أعلى مستويات المعرفة في عالم الإيمان وهذا ما يسميه القرآن عالم الغيب، أو الإيمان بالغيب، عالم الشهادة نظر وقد يلحق به الأثر، لأن الأثر شيء من الشهادة لأنك تشاهد شيئاً فتستدل على شيء آخر فهو شهادة، أما عالم الغيب هو الشيء الذي غاب عنك، فالله تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

(سورة الرعد: الآية 9)

ولما وصف المؤمنين أول وصف قبل إقامة الصلاة قال:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(سورة البقرة: الآية 3)

فبدأ بالإيمان بالغيب لأن معظم إيماننا يستند إلى الغيب إلى شيء لا نراه ولا نشهد له آثاراً ربما ولكنه رغم أنه غاب عن عيوننا فلو لم تدركه عقولنا لكننا نؤمن به لأنه خيرٌ صادق من الله تعالى.

الآن علي والزبير والمقداد، الآن هذا خبر، هناك طعينة معها كتاب، هذا خبر، الخبر يحتمل الصدق والكذب إلا إن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الله عز وجل، فلا يحتمل إلا انها واحد وهو الصدق، فقال لها: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتَلْقَيْنَ النَّبَاَ لا يوجد حل ثانٍ لأن الكتاب معك، هذا خبر ولكنه خبر صادق

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

(سورة النساء: الآية 87)

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هو أصدق الأمة يقيناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحب أكبر يقين في الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الصديق، فلما قيل له: إن صاحبك، يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم، يزعم أنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماوات، الآن أبو بكر الصديق قال: أوقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، هو يتأكد قال أم لا، قال: إن كان قال فقد صدق، لمّا يقابل رسول الله، ولمّا يستوضح منه، ولا يوجد طيارة ولا سيارة القضية عقلياً صعبة التصديق وليس لها لا نظر ولا أثر، لكن ما دام قال فقد صدق، لأن الخبر صادق، هو الصادق الأمين، يحاولون ثنيه، صاحبك يزعم، قال: إن كان قال فقد صدق، انتهى.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى أحمد بإسناد حسن: عندما عقد النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية قبل فتح مكة بسنة، صلح الحديبية كان طاهره محققاً بحق المسلمين، يعني الشروط: جاءوا ليعتمرُوا فرحين، سترجعون دون أن تعتمرُوا، تخللوا وأرجعوا لا يمكن أن تعتمرُوا الآن، عودوا السنة القادمة، إذا جاءكم أحد مسلم من عندنا يجب أن تردوه إلينا، الصلح في طاهره مهين للمسلمين، فيه دلة، لكن الله تعالى سماه فتحاً فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا

(سورة الفتح: الآية 1)

الترزم بما أمرك به والله لن يضيعك



الله لن يضيعك

هذه الآية نزلت في صلح الحديبية لأنه مبشرات الفتح، لأن الله تعالى أعلم بما يصلح الأمة، فالآن عمر رضي الله عنه، عمر له جدّة، سيدنا أبو بكر رقيق، رقة أبي بكر مع حدة عمر، المجتمع المسلم بحاجة إلى هذه الأمور، فسيدنا عمر رأى في الصلح مهانة فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه قال: يا أبا بكر أوليس برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الذلة في ديننا؟ لماذا نقبل بالذلة؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا عمر الزم غرضه، عند قدمه، فإنه رسول الله، أنا مثلك لم أفهم، أنا مثلك، القضية صعبة الفهم، لكن هذا رسول الله، عمر لما ينته الأمر في نفسه ذهب إلى رسول الله بكل صراحة قال: يا رسول الله، أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الذلة في ديننا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني عبد الله، أنا الآن أتقّد، أنا عبد، إني عبد الله أفعل ما أمرني به الله ولن يضيعني، انظروا العبارة: "أفعل ما أمرني ولن يضيعني"، نحن اليوم بحاجة إلى هذا النص، أن تفعل ما أمرك به الله فلن يضيعك الله، أنت التزم بما أمرك به والله لن يضيعك.

{ كُنَّا بَصِيقِينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُثَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ تَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: بَلَى. فَقَالَ: أَلَيْسَ قِتَالًا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ تُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا، أَتَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَيُبْتِهَمُ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، فَأَنْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَتَرَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْفَتْحُ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ }

(صحيح البخاري)

(وَاللَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ) كما في حديث آخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ

(سورة البقرة: الآية 143)

مستحيل أن يضيعنا ربنا إذا ائتمرنا بما أمر وائتهنا عما عنه نهى وزجر، الآن موطن الشاهد: عمر رضي الله عنه اتضح عنده الأمر فيما بعد، الأمر اتضح، لأنه الذي حدث هو فتح مكة، وهؤلاء الذين ردّهم النبي صلى الله عليه وسلم شكلوا قطاع طرق وصار المشركون يرسلون لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يقبلهم! فتبينت حكمة الأمر الذي لم يكن ظاهراً في صلح الحديبية، فيقول عمر رضي الله عنه: "والله لقد بقيت أصلي وأصوم وأتصدق وأعتق مخافة الكلام الذي قلته يومئذٍ، خائف من الله لأنه شعر هو بكلامه ذلك وكأنه يسيء الظن، فقال: مخافة الكلام الذي قلت، حتى رجوت أن يكون خيراً، يعني حتى أحسست أن الله غفر لي ما كان مني، من هذا الشك بالأمر، النبي صلى الله عليه وسلم كان له عم العباس، العباس كان مسلماً ولكنه لم يظهر إسلامه وكان عين النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، يتابع الأخبار ويأتيه بها، فلما جاءت معركة بدر النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تقتلوا عمي العباس، هناك معركة ستتم لا أحد يقتل عمي، النبي صلى الله عليه وسلم ما عنده مجال إلا أن يقول هذه العبارة لا تقتلوا عمي العباس، لأنه لو قال: لا تقتلوا عمي العباس لأنه مسلم لفصح، ولو سكبت لقتلوه لأنه كافر في نظرهم، فالآن العبارة الوحيدة: لا تقتلوا عمي العباس، فقال أحدهم: أحداً يقتل أباه وعمه وأخاه، وينهاها عن قتل عمه؟ تكلم بها، ثم يقول: والله لقد بقيت أتصدق عشرين سنة رجاء أن يغفر الله لي سوء ظني برسول الله صلى الله عليه وسلم.



اليقين بخير الله وخير رسوله

إذا أخواننا الكرام: عندما نتحدث عن قضية اليقين بكلام الله تعالى وبكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأننا اليوم في حالة إعلامية غير مسبوقة من محاولة التشكيك بالوحي في القرآن والسنة معاً، فينبغي أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتي بوحى فهذا وحى السماء وهذا خير صادق وأن نزيد من تمسكنا بهذه التوابت وأن نعمق من إيماننا بكلام الله وبكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، إذاً هذه هي العبرة الأولى، عنوان العبرة الأولى: اليقين بخير الله وخير رسوله صلى الله عليه وسلم.

العبرة الثانية : قبول عذر المعتذر

العبرة الثانية عنوانها لنقبل عذر المعتذر: حاطب اعتمر بعذر، النبي صلى الله عليه وسلم ما كان منه إلا أن قال: "لَقَدْ صَدَّقَكُم"، قبل عذره، فإذا جاءك أخوك متصلاً يعني أخطأ معك خطأ ثم جاء يقول لك: وصار معي ظرف، وأنت قد تعلم أن هذا الطرف الذي حصل معه لا يؤهله لأن يفعل ما فعل، لكنه متصل يعني يحاول أن يعتذر منك ويتصل من خطئه، أسرع وقل له: أنت عندي صادق وأمين، لا يوجد مشكلة نحن أخوة، بعض الناس يبالي ما الطرف الذي جرى معك؟ والله حصل معي كذا، ولكنك كنت تستطيع أن تأتي، يُحْمَرُ له وجهه ويخجله قبل أن يسامحه، ما دام يعتذر، أخطأ وقع في خطأ كلنا ذو خطأ، فجاء معتذراً فأسرع قبل أن يتمادى في التبريرات قل له: أنا أعلم أن لك عذراً، وأنت صادق فيما تقول والأمر انتهى، ما دام جاء متصلاً فأقبل عذره، التمس لأخيك ولو سبعين عذراً، يعني ولو سبعين مرة أعاد العذر وتصل من خطئه فأقبل عذر المعتذر، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل عذره فوراً قال: "لَقَدْ صَدَّقَكُم"، إذاً العنوان الثاني في هذا اللقاء لنقبل عذر المعتذر.

العبرة الثالثة : قدّر حاجات الناس ولا تتجاهلها



قدّر حاجات الناس

العنوان الثالث: قدّر حاجات الناس ولا تتجاهلها، ما معنى ذلك؟ حاطب رضي الله عنه جاء بحجة، هذه الحجة هي غير صحيحة شرعاً أبداً انتبهوا، لا يجوز حتى أحمي قرايتي وأهلي، هو علل في بعض الروايات قال: إني أعلم أن الله ناصر، يعني أنت بالنتيجة منصور منصور فما المشكلة إذا أخبرتهم وأحمي نفسي، هذه المعادلة غلط، أنت مخطئ، أنت تخبرهم شيء من أمر المسلمين فأنت مخطئ بلا شك، لكن هي حاجة من حاجاته، يعني هو له مشكلة فالنبي صلى الله عليه وسلم قدّر حاجته أن عنده مشكلة في أن له قرابة وأهلاً ومالاً، النبي صلى الله عليه وسلم ما قال له: إقرايتك وأهلك أهم عندك من الدعوة الإسلامية! تُقَصِّلُ قرايتك وأهلك على أمر رسول الله وأمر الله، ما هذه الحاجة السخيفة التي عندك! لا يا أخي، الرجل له حاجة، اجتهد فأخطأ، حاجته صحيحة لكن الطريق التي سلكها للوصول إليها كان خطأ فالنبي صلى الله عليه وسلم وجهه إلى أن هذا خطأ كبير، لكن قبل عذره ولم يتجاهل حاجته.

العبرة الرابعة : النظر إلى صاحب الذنب

الآن الأمر الرابع: سيدنا عمر رضي الله عنه قال: دعني أضرب عنق هذا المنافق، لماذا؟ لأن عمر نظر إلى الذنب، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى صاحب الذنب، عمر نظر إلى أن ذنبه يستحق القتل وهو محق في ذلك، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظر إلى الذنب وإنما نظر إلى صاحب الذنب فوجده مغلوباً على أمره في لحظة ضعف طارئة فانتشله من هذا الهم والأسى وأعلي مقامه بين الناس، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى صاحب الذنب، وأنت اليوم في حياتنا اليومية عندك موظف، عندك ابن، عندك أخ، أذنب ذنباً وأنت تعلم عنه خيراً انظر إلى صاحب الذنب، قلنا سابقاً: في علاقتك مع الله لا تنظر إلى الذنب ولكن انظر على من اجترأت، لا تقل: ذنب صغير، قل: الله الذي أمر وأنا الذي خالفت والله عظيم أعطاني ووهبني، وأنا خالفت، لكن في علاقتك مع الناس، أذنب أحدهم فلا تنظر إلى ذنبه، ولكن انظر إلى صاحب الذنب فقل: أبو فلان رجل صالح وله تاريخ جيد ولكنه أخطأ في هذا الأمر، فهو لا يصدر عنه شيء إلا باجتهاد خاطئ، فلا تنظر إلى الذنب ولكن انظر إلى صاحب الذنب.

العبرة الخامسة : ركز على الإيجابيات وتجاهل السلبيات



ركز على الإيجابيات وتجاهل السلبيات

الآن أمر آخر، عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنه عندما تقع في إشكال معين أو تقع في مشكلة معينة فلا تنس الإيجابيات، ركز على الإيجابيات وتجاهل السلبيات، النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أعظم إيجابية له قال: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا"، بعض الناس اليوم إذا أخطأت معه خطأ يهدر لك ماضيك كله، وحتى في علاقتنا اليوم، يخطئ إنسان خطأ وهذا خطأ وينبغي أن يشار للخطأ بالخطأ وخصوصاً إذا أخطأ على العلن ولم يعتذر فلا بد أن نقول: هذا خطأ، لكن لا تهدر للإنسان كل عمله بمجرد أنه أخطأ خطأ، هو أخطأ في هذا الأمر لكن كان له ماضٍ صحيح، موظف عندك يتأخر عن الدوام لأكثر من مرة، ولكنه مخلص في عمله، ما علمت عنه يوماً أنه اختلس ديناراً، فالآن إن أردت أن تعاتبه قل له: والله إنني لأعلم من إخلاصك ومن أمانتك الشيء الكثير، ولكن بسوؤني هذا التأخر المتكرر فهو يسيء إلى العمل، لكن ذكره بالإيجابيات قبل أن توجه وتعاتب في السلبيات، بعض الناس يتجاهل الإيجابيات ويركز عينه على السلبيات وهذا خطأ كبير كبير جداً، وحتى للزوجات وللأزواج، النبي صلى الله عليه وسلم قال: يَكْفُرَنَّ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرَنَّ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِخْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ.

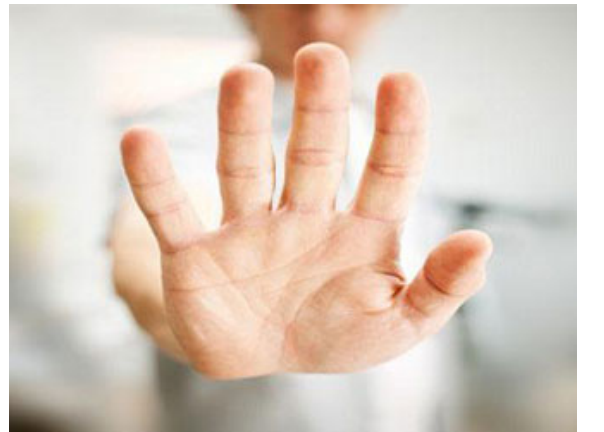
{ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النَّسَاءُ، يَكْفُرْنَ قِيلَ: أَيْ كَفَرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ:

يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِخْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ }

(صحيح البخاري)

لكن هذا اليوم بفعله كل الناس حقيقة، يعني الزوجات وغيرهن، يعني اليوم كثيراً إذا أحسنت للإنسان الدهر ثم فعلت شيئاً يقول: لم أر منك خيراً قط، إذا القضية أننا ينبغي في علاقتنا مع الناس أن نكون متوازنين موضوعيين، الموضوعية إخواننا الكرام قيمة علمية وقيمة أخلاقية، فالموضوعي عالم، والموضوعي أخلاقي، فأنت موضوعي بعلمك وبأخلاقك معاً، أحياناً إنسان عنده علم ولكن ليس عنده أخلاق فلا يكون موضوعياً، يكبر السلبيات ويتجاهل الإيجابية، هذا خطأ كبير، اليوم في علاقتنا مع الناس كثير الإيجابيات وتجاوز عن السلبيات.

((كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُبَيِّحُ الْقُبْحَ وَيُوْهِئُهُ))



لا تلتفت للباطل

يعني الشيء القبيح كان النبي صلى الله عليه وسلم يضعفه، كما يقال: أَمِينُوا الْبَاطِلَ بِالْكَوْثِ عَنْهُ، لا تلتفت للباطل، اليوم مجتمعنا مع الفيس بوك ومع وسائل التواصل عكس الآية فإذا صار هناك فضيحة تصلك من ألف شخص وإذا صار هناك إيجابية يتكلم بها عشرة فقط، والمفروض الإيجابية تُعَمِّمُ والسلبيات تُعَمِّمُ عليها، فالיום الوضع مختلف، فتحن لنحاول أن ننشر الإيجابيات دائماً، النبي صلى الله عليه وسلم فوراً قال: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا" أول كلمة ما نسبها له، كان بلحظة فيها الإسلام يكون أو لا يكون كان حاطب يقف وجاربه، هذا خطأ الذي ارتكبه اليوم لكن لا ينكر أنه قد شهد بَذْرًا، فهنا نقول ركز على الإيجابيات وتجاهل السلبيات بقدر الإمكان، وإذا أردت أن تذكر السلبيات فاذكرها مع الإيجابيات أيضاً، بموضوعية سلبيات وإيجابيات معاً، فلان أخطأ في ذلك لكن له أمور قد تشفع له أو لا تشفع هذا الأمر عند الله لكن نحن نركز على الإيجابيات، والعفو من شيم الكرام، الآن هناك ملج: حاطب ما أصبح شخصاً متنبؤاً في المجتمع، لأن المجتمع المسلم وصل إلى مرحلة من التماسك والتعاقد تجعله كلاً متماسكاً، ما أخرج حاطباً من الصف المسلم هذا الخطأ، ما صار الناس بعد ذلك يقولون: حاطب أخطأ فتركوه، الدليل: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَهُ بِمَهْمَةٍ كَبِيرَةٍ جَدًّا فِيمَا بَعْدَ، أَرْسَلَهُ بِرِسَالَةٍ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكٍ مِصْرَ، بَعَثَ مَعَهُ رِسَالَةً، جَعَلَهُ سَفِيرًا، رَغِمَ هَذَا الْخَطَأُ مَا فَقَدَ قِيَمَتَهُ بِالْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، حَافِظٌ عَلَى قِيَمَتِهِ.



التربية عملية تراكمية

هناك ملح أيضاً مهم في هذا الحديث؛ حاطب مسلم وربما مضى على إسلامه في هذه الحادثة سنوات لأن غزوة بدر وبعدها، فربما ثلاث أو أربع أو خمس سنوات، هو من المهاجرين، ومع ذلك أخطأ لأن التربية عملية تراكمية، التربية الإيمانية أو أي تربية وهذا نحتاجه مع أولادنا عملية تراكمية وليست عملية لحظية، أنا كنت مدير مدرسة وكنت معلماً قيل ذلك أدرس الطلاب، فأحياناً يدخل اليأس إلى المعلم عندما يرى مخالفة يرتكبها الطلاب، النفس في طبيعتها تركز على الشيء السلبي فيدخل اليأس لنفوسنا، كنت أذكر نفسي دائماً بأن التربية عملية تراكمية، يعني هذا الشاب لا يعني أنه لن يخطئ من قال لك: إنه لن يخطئ؟ ابنك أيضاً في البيت أو أخوك أو الموظف الذي عندك ... إلخ، من قال لك: إنك ستوجهه من المرة الأولى ويصبح ملاكاً مباشرة! ما هكذا جعل الله الحياة، فحاطب رغم كل هذه الإيمانيات ورغم شهود بدر لكن ألمت به لحظة ضعف طارئ، قال له: ما فعلتُ ذلك كُفراً ولا ارتداداً، ولا رصاً بالكفر بعد الإسلام، أبداً، لكن لحظة ضعف، الخطأ خطأ، ونقول: هو خطأ، لكن هل هذا الخطأ يعني لا يمكن أن يحصل؟ لا، حصل، وهو صحابي، فالיום في تعاملك مع الناس وطن نفسك أن الناس يخطئون، أنا لا أبرر الآن وأعذر، يعني نسال الله أن لا تكون، لكن هذا أمر وارد هي طبيعة الحياة أن الإنسان ينسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً

(سورة طه: الآية 115)



يؤمر الطفل بالصلاة في السابعة

لم نجد له عزماً على المعصية لكنه نسي، فحين إن شاء الله لينا عازمين على المعصية ولكننا ننسى فوطن نفسك مع ابنك أن التربية عملية تراكمية، انظروا النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يقول؟ مَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَعٍ، سنفترض جدلاً وسطياً أنه بلغ سن التكليف عند الخامسة عشر، من السابعة إلى الخامسة عشر هناك ثماني سنوات، في السابعة بدأت تأمره أن يصلي، الآن كم سنة؟ ثلاث سنوات أعطانا النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات تأمره، مرة يصلي، ومرة يصلي بلا وضوء ومرة يقول لك صليت وهو لم يصل، ومرة يقول لك: كنت مع أصدقائي وصلينا هناك، وأنت أحياناً تغض النظر عنه، أحياناً تقول له كأنك نسيت، وكذا، ثلاث سنين وأنت تأخذ وتعطي معه من أجل الصلاة، بعد ذلك أصبح بالعاشرة هنا بدأنا بمرحلة جديدة، وأصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، طبعاً الضرب غير المُبْرَح، الضرب الذي يشعره بأنه أخطأ في حق الله، يعني ضرب شيء بسيط، الضرب غير المبرح حتى لما الفقهاء يذكرون الضرب للزوجة بالسواك ونحوه،

{ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَعٍ بَيْنَيْنِ، وَأَصْرَبُوهُمْ

عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَصَاحِجِ " }

فالذي يتوهم أن الضرب بالإسلام هو أن يضربها ويكسرهما هو لم يفهم حقيقة المسألة، المسألة تهذيبية وليست عقوبة جسدية، وأصْرُبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَتْنَاءَ عَشْرِ، وبعد العشر مازال هناك أربع سنين خمس سنين الله اعلم حسب البلوغ ليكون مفروضاً عليه الصلاة، إذا النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن التربية عملية تراكمية يعني لينة فوق لينة فوق لينة لا تكون التربية عملية لحظية، تقول لي: والله أمرت ابنتي أن تتحجب ولكنها لم تتحجب، متى قلت لها؟ والله بالأمس، وكم عمرها؟ خمسة عشر، هذا لا ينفع، الحجاب ينبغي أن تحجب به من ست أو سبع سنوات يعني ينبغي أن تحبها به باكراً وبعد ذلك تضعه في البيت عند الصلاة وبعد ذلك تصور لها كم الحجاب جميل جداً ووالدتها في البيت محبة وكذا، نصل لمرحلة الحجاب وهي مرتاحة وتجيد كثيراً من البنات هي التي تطلب الحجاب تقول له: بابا أنا أريد أن اتحجب، والمدرسية تساعد إلخ، فأنا أقصد أن حَاطِبِ بْنِ أَبِي ثَلَعَةَ على الرغم من كل ميزاته لكنه أخطأ، فينبغي أن نوطن أنفسنا في علاقتنا مع الناس أن الناس يخطئون، ما عندنا ملائكة، الملك رُكِبَ من عقل بلا شهوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(سورة التحريم: الآية 6)

الإنسان غير معصوم ويمكن أن يقع في الخطأ



الإنسان غير معصوم عن الخطأ

نحن لبنا ملائكة، نحن مركبون من عقل وشهوة وعندنا صراع دائم بين التكليف الذي كلفنا الله به وبين الشهوات الموجودة فينا، وطبيعة هذا الصراع تقتضي أن يقع الإنسان في الخطأ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ

(رواه الترمذي)

وهنا نفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد يفهم خطأ: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأنى يقوم يذنبون فينوبون فيتوب الله عليهم، فقد يفهمه إنسان أنه المفروض أن نذنب، لا حاشا لله، نهينا عن الذنب بألاف الآيات والأحاديث،

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي تَفْسِي يَدِيهِ لَوْ لَمْ تُذْنبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ يَقُومُ بُذِيبُونَ فَيَسْتَعْفِرُونَ
اللَّهُ قَبَّعِرُ لَهُمْ }



إذا أدنيت يجب أن تتوب

لكن المقصود أن الذي لم يذنب ولا يتوب إذا أصبح لا يشعر بذنبه، والله يحب أن يسمع صوتك فيحب منك إذا أدنيت أن تتوب فالذنب واقع واقع، لكن المؤمن إن شاء الله لا يذنب بالكبائر لأن الكبائر توقعه في حرج شديد، ثم لا يصر على المعصية هذا فرق المؤمن عن غيره، أما البعيد عن الله عز وجل تكثر ذنوبه ويرتكب الكبائر ويصر على معاصيه ولا يراها شيئاً فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن ذنبه كالجيل جاثم على صدره، مثل الجبل يجثم على صدره، ثقل الذنب عليه، والمنافق ذنبه كذباب طار على أنفه فقال هكذا فطار، هنا قال بمعنى أشار تأتي في اللغة، فقال هكذا، فطار يعني ما انتبه ما الذي فعله بسيطة، ربك لن يدقق علينا نحن أمة مرحومة بهذا المعنى، نحن أمة مرحومة طبعاً لكن مرحومة بحق عندما تكون على المنهج.

{ إن المؤمن يرى ذنبه كالجيل فوقه، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره }

(رواه البخاري)

فالذي أريد أن أقوله أن خاطب بن أبي بلتعة أخطأ على الرغم من كل هذا الأمر لكن خطأه كان في سلوكه معين والنبي صلى الله عليه وسلم تجاوز عنه هذا الخطأ، فإذا أولاً اليقين بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنقبل عذر المعتذر، ينبغي أن نقدّر حاجات الناس وألا نتجاهلها، ينبغي أن ننظر إلى صاحب الذنب لا إلى الذنب بحد ذاته، الشخص المسلم ينبغي أن لا ينبذ في المجتمع المسلم ينبغي أن نلاحظ أن التربية عملية تراكمية وليست عملية لحظية أو آنية، هذه مجمل الدروس.

فاتني حديث كنت أريد أن أقوله في موضوع اليقين بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الأدب مع رسول الله

عن وائلة بن الأسقع، من الصحابة الكرام، قال: كنت من أصحاب الصفة، أصحاب الصفة الذين كانوا يجلسون بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني لا يوجد مال ولا مسكن جاؤوا مهاجرين وفقراء، فكانوا يسكنوا في المسجد يؤتى لهم بالطعام فيأكلون، ولقد رأيتنا وقد اتخذ العرق في أجسادنا طُرْقاً من الغبار والوسخ، لا يوجد حمام أيضاً، فصار الوضع صعباً، قال: فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا رجل، قال: ما رأيتم أجمل منه صورةً عليه ديباجة، يعني لباس حسن، يعني بهذا الموقف وهو بهذه الأبهة شيء غريب، يقول: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه أن يأتي بكلام يعلو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني بالعبارة الحديثة مفلسف زيادة، فكلما ذك النبي صلى الله عليه وسلم قصة يخرج هو ويتكلم بكلمة أنه أنا رأيي كذا، يعلو كلام رسول الله، هو هكذا يطن نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يحب هذا وضربته، يعني وأمثاله، يُلَوُّونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكَلَامِ لِلنَّاسِ لِيَّ الْبَقَرَةَ لِسَانَهَا بِالْمَرْعَى، كيف البقر يلوي لسانه ليأكل في المرعى، كذلك يُلَوِّي اللُّهُ أَلْسِنَتَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.

{ وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنت في أصحاب الصفة فلقد رأيتنا وما منا إنسان عليه ثوب تام وأخذ العرق في جلودنا طرقا من

الغبار والوسخ، إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ليبشر فقراء المهاجرين، إذ أقبل رجل عليه شارة حسنة فجعل النبي

صلى الله عليه وسلم لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه أن يأتي بكلام يعلو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما انصرف قال: إن الله لا يحب هذا

وضربته؛ يُلَوُّونَ أَلْسِنَتَهُمْ لِلنَّاسِ لِيَّ الْبَقَرَةَ لِسَانَهَا بِالْمَرْعَى ! كَذَلِكَ يُلَوِّي اللُّهُ أَلْسِنَتَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ }

(أخرجه الطبراني بسند صحيح)

فأنا الذي أريد أن أعقب عليه، الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

(سورة الحجرات: الآية 2)

في حياته المعنى واضح، يعني كان هناك من يقولون: يا محمد فيرفعون أصواتهم وهذا ليس من الأدب، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ الْخُزَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ

(سورة الحجرات: الآية 4-5)

فسورة الحجرات سورة الأدب يعلمهم الأدب مع رسول الله، (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ).

الدين كامل نوعاً وتام عدداً



ديننا تام لا يضاف عليه ولا يحذف منه

الآن إذا أردنا أن نفسرها تفسيراً عاماً شاملاً لكل زمن ومكان، الإنسان الذي تكلفه نفسه أن يأتي بكلام يرفع به صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فتقول له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لك: لكن الزمن اليوم تغير، نريد أن نفهم الحقائق بطريقة مختلفة، نحن اليوم لسنا مثل أمس، تقول له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لك: لكن اليوم التجديد في الدين طبعاً بالمعنى السلبي وليس الإيجابي لأن هناك تجديداً صحيحاً في الدين، بالمعنى السلبي والذي هو هدم الثوابت، يقول: يحتاج إلى تجديد في الدين، تجديد ماذا؟ إما أنك تنهم الدين بالزيادة فتريد أن تحذف منه أو تنهمه بالنقص فتريد أن تزيد عليه، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

(سورة المائدة: الآية 3)

أجد اليهود فهمها أكثر مما يفهمها كثير من المسلمين اليوم، قال لعمر رضي الله عنه: آية في كتابكم لو تزلت عَلَيْنَا مَعَسَرَ الْيَهُودَ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قال وما هي؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} فقال عمر: والله إنني لأعلم أين نزلت وفي أي مكان نزلت، نزلت يوم جمعة في عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بالناس.

{ قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ يَهُودَ تَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} تَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي أُتْرِلَتْ فِيهِ، لَأَتَّخِذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: فَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أُتْرِلَتْ فِيهِ، وَالسَّاعَةَ، وَأَبْنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَزَلَّتْ، تَزَلَّتْ لَيْلَةً جَمْعٍ، وَتَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَرَقَاتٍ {

(صحيح مسلم)

إذا الدين كامل نوعاً ونام عدداً، القضايا التي عالجهما الدين تامةً عدداً كاملاً نوعاً، فاليوم عندما يأتي إنسان وتكلفه نفسه على الفضائيات وفي الفيس بوك أن يأتي بكلام يعلو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينبهه إلى ذلك فإن هذا خطر عظيم، نحن متبعون، في أمور الدنيا عليك أن تتدع، وعليك أن تأتي بكلام يعلو كلام من شئت هذا ميدان واسع ورحب وكبير جداً، أما في أمور الشرع فينبغي الانضباط بالنص، نفهمه ونحاول أن نستخرج كنوزه، لكن وفق الضوابط ووفق الأصول الشرعية، دون أن تأتي بأشياء جديدة ونقول: هذا النص لم يعد صالحاً الآن! وقطع اليد أصبح اليوم همجياً وهناك عقوبات إصلاحية، عقوبات إصلاحية! فينبغي الانتباه إلى أننا عندما نتعامل مع النص القرآني أو النص النبوي فنحن نتعامل مع نص مقدس ومع خبر صادق فينبغي تلقيه على هذا النحو.

والحمد لله رب العالمين